مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 01- جانفي (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/10 تاريخ القبول: 2024/01/15 تاريخ النشر: 2024/01/21

مصطلح الغموض في النقد العربي القديم من خلال كتاب المنزع البديع لأبي القاسم السجلماسي

✍ رندة بن جدو [1]
randa.bendjedou@univ-jijel.dz
مخبر البحث في الدراسات السوسيو –لغوية،
و السوسيو- تعليمية و السوسيو-أدبية
جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل/ الجزائر

✍ باوية صلاح الدين [2]
salahedine.baouia@univ-jijel.dz
مخبر البحث في الدراسات السوسيو –لغوية،
و السوسيو- تعليمية و السوسيو-أدبية
جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل/ الجزائر

The term ambiguity in ancient Arabic criticism through the book Al-Manzah Al-Badi' by Abu Al-Qasim Al-Sajilmassi

✍ Randa Bendjedou[1]
randa.bendjedou@univ-jijel.dz
Research Laboratory in socio –linguistic,
socio - educational and socio-literary studies
University of Jijel - Mohammed Seddik
BENYAHIA .Algeria

✍ Salahedine Baouia[2]
salahedine.baouia@univ-jijel.dz
Research Laboratory in socio –linguistic,
socio - educational and socio-literary studies
University of Jijel - Mohammed Seddik
BENYAHIA .Algeria

[1] المؤلف المرسل: رندة بن جدو

مُلخّص البحث

لقي المصطلح عناية كبيرة من البحث والدراسة في مختلف العلوم، ذلك أنَّ أي علم من العلوم أو أية نظرية إلا وتقوم بالدرجة الأولى على صناعة مصطلحاتها الخاصة، والفهم الدقيق لها، كون المصطلح هو الركيزة الأساسية لتلك العلوم والنظريات، ولذا سنخصص هذا البحث لأجل إبراز جهود السجلماسي ومنهجه في المصطلح من خلال دراسة مصطلح الغموض.

الكلمات المفتاحية: المصطلح ،المنزع، السجلماسي، الغموض، النقاد العرب.

ABSTRACT:

The term received great attention from research and study in various sciences, so understanding any science or any theory is based primarily on probing the terms and understanding them precisely because the term is the basic pillar of those sciences and theories ; We will dedicate this research to highlight the efforts of Sijilmassi and his methodology in the term by studying the term ambiguity.

Keywords: terminology, disposition, Sijlmassi, ambiguity, Arab critics.

1.مقدمة:

اهتم النقاد والبلغاء بالمصطلح منذ عهد ابن المعتز في القرن الثاني الهجري، من خلال كتابه البديع وصولا إلى القرن السابع والثامن الهجري مع المدرسة البلاغية النقدية التي أعطت صورة مضيئة لتطور النقد والبلاغة في المغرب العربي، والتي يعد السجلماسي أحد أهم أعلامها وهذا من خلال كتابه المنزع، هذا الكتاب الذي يعد من أهم الكتب التي تزخر بها المكتبة العربية عامة والمكتبة المغربية خاصة، ومن بين المصطلحات التي تناولها السجلماسي بالدراسة مصطلح الغموض، وقد لقي مصطلح الغموض اهتماما كبيرا من قبل النقاد القدامى قبل السجلماسي حتى أصبح هذا المصطلح قضية في النقد الأدبي تناولتها دراسات سجلت مواقف متباينة للنقاد من وجهات نظرهم وقراءاتهم التأويلية لهذا المفهوم، فانقسموا إلى فريقين: فريق مستهجن للغموض، وآخر مستحسن له، وأوضح كل منهما مبرراته في موقفه النقدي لكن ما تمتاز به هذه الدراسة هو التركيز على دراسة أهم المصطلحات الدالة عليه وطريقة معالجة هذه المصطلحات من قبل أبي القاسم السجلماسي، وذلك من خلال كتابه المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، وعليه فإن الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة تكمن في: ماهية مصطلح الغموض عند السجلماسي؟ وما هي أهم المصطلحات الدالة عليه؟ وكيف عالج صاحب المنزع هذه المصطلحات في كتابه المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع؟

بداية فإنَّ مؤلف هذا الكتاب هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي، أحد أعلام المدرسة البلاغية النقدية التي ظهرت ما بين القرنين السادس والسابع الهجريين والتي تميزت بطابعها التنظيري القائم على التنظيرات البلاغية والفلسفية، والمنطقية، والتفريعات الأصولية[1] وقد ولد السجلماسي في مدينة سجلماسة المغربية ونشأ فيها ثم رحل إلى مدينة فاس للأخذ عن علمائها والتدريس بها، وهناك أملى على تلاميذه كتابه المنزع وهذا عام704 هجري، وهو من العائلات الأنصارية التي وفدت إلى المغرب في فترات تاريخيه.[2]

كانت سجلماسة من أهم المراكز الفكرية والحضارية خلال عهود طويلة، وخاصة في عهد الدولة المرينية هذه الأخيرة التي تميزت بازدهار الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والمساواة بين أفراد الرعية في الحقوق ما سمح بحركة علمية مزدهرة[3] أما في الإطار العلمي فقد أسهمت في تطوير العلوم من فلسفة، وهندسة، ورياضيات، ولم يقتصر التطور على هذه العلوم بل تعداه إلى النقد والبلاغة أيضا وكل هذا كان له تأثير ايجابي في تكوين السجلماسي الثقافي والفكري والذي يظهر جليا في كتابه المنزع البديع فهو فيلسوف بلاغي، ناقد لغوي، نحوي عروضي وأديب.[4]

أما كتابه المنزع البديع فهو كتاب من وجهة نظر فلسفية ومنطقية مزج فيه السجلماسي بين الثقافتين العربية واليونانية وكان هدفه من هذا الكتاب هو تبيان أسرار بلاغة القرآن وإعجازه وتقديم قوانين للتأليف والتأويل، ويؤكد هذا من خلال قوله في مقدمة الكتاب « فقصدنا في هذا الكتاب الملقب بكتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع إحصاء قوانين النظم التي تشمل عليها الصناعة الموضوعية لعلم البيان وأساليب البديع وتجلسيها في التصنيف وترتيب أجزاء الصناعة في تأليف الكلية وتجريدها من المواد الجزئية بقدر الطاقة وجهد الاستطاعة والله تعالى ولي التسديد وكفيل التأييد » .

أما فيما يخص كيفية تعامله مع المصطلحات فنجده يقف على الأصل اللغوي ثم يُثنِّي بالاستعمال الجمهوري الشائع له ثم بعدها يأتي على المفهوم الاصطلاحي للفظ ويعني بتحديد أوجه العلاقة بين المعنى اللغوي الجمهوري للكلمة وبين المعنى الصناعي النظري للكلمة واستعدادها لتقبل وتحمل الدلالات التي حددت من أجل خدمتها، وقد حدد لكل مصطلح مصطلحين كبيرين هما: الموطئ والفاعل ويعني الأول المعنى أو القاسم المشترك الذي يضم التفريعات اللاحقة (المتولدة مباشره) أما الفاعل فيقصد به القانون العلمي النظري العام الذي يمثل القاسم المشترك بين المصطلحات التي تلتحم في وضعها الفلسفي المنطقي بدلالتها النقدية والبلاغية دون الخروج عما تسمح به اللغة من طرق التوليد وتضمين المعاني.

وبعد التحليل النظري للمصطلح يعمل إلى التدليل بالتطبيق بإيراد النصوص المفعمة بالصور البلاغية والآراء النقدية التي تتضمن المصطلح المدروس.[5]

2. مصطلح الغموض الماهية والمفهوم:

1.2 الغموض لغة:

جاء في لسان العرب: الغموض في اللغة هو مصدر الفعل غمض بفتح الميم أو غمض بضم الميم فكل شيء له تتضح رؤيته فهو غامض، وكل ما لم يتجه لك من الأمور فقد غمض عليك فالكلام الغامض مكتوب أو منطوق هو بخلاف الكلام الواضح ، ويقال للرجل الجيد الرأي قد أغمض النظر ومسألة غامضة فيها نظر ودقه.[6] بمعنى الغموض في اللغة الغياب والخفاء وهو عكس الوضوح الذي يعني البيان و الظهور.

2.2 اصطلاحا:

تناول النقاد القدامى مفهوم الغموض في مؤلفاتهم و من بين هؤلاء النقاد نجد الآمدي وهذا من خلال موازنته بين أبي تمام والبحتري حيث يقول: « فإن كنت... ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، صحة السَّبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحتري أشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل

إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة[7] »

نجد من خلال هذا القول إنَّ الآمدي يرى أن وضوح الألفاظ والمعاني وكذا جودة السَّبك هو خير الكلام، وهذا ما يتميز به شعر البحتري وهو الأمر الذي جعله من شعراء عمود الشعر، أما غموض المعاني والصنعة في الكلام وهو ما يتميز به شعر أبي تمام يجعل الكلام معقدًا ويخرج الشاعر من دائرة عمود الشعر فقبول الشعر عند المتلقين لا يكون إلا من خلال وضوحه والبعد عن الغريب والوحشي من الكلام والابتعاد عن المعاني التي تحتاج إلى استنباط وشرح و استخراج.

كما تحدث الصابي عن الغموض وهذا من خلال تحديده الفرق بين النثر والشعر في قوله :« إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن الترسل هو ما وضح معناه، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه، وأفخر الشعر ما غمض، فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه »[8] ، فالصابي هنا يرى أن الكلام المنثور يتطلب الوضوح في المعاني والألفاظ على عكس الكلام المنظوم الذي يتطلب الغموض، هذا الأخير الذي يخلق اللذَّة و الإثارة في نفسية القارئ والمستمع ويزيد من القيمة الجمالية للنَّص الشِّعري.

أما الغموض عند السجلماسي فقد ارتبط بتسميات مختلفة تجسّد الجوانب الأسلوبية التي يستند النَّص الإبداعي إليها وتجعل من النَّص نصًّا إبداعيًا كالكناية، والإشارة، والغرابة وغيرها، وعلاقة ذلك بالمتلقي من حيث خلق اللذَّة والدَّهشة عنده على المستويين الحسّي والعقلي ومن بين هذه التَّسميات نجد مصطلح الاتساع، مصطلح الإشارة، ومصطلح العدول وسنتناولهم بالتفصيل من خلال هذه الدراسة.

3.مصطلح الإشارة:

تعددت مفاهيم مصطلح الإشارة عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى وعرفت بمسميات متباينة فمنهم من يطلق عليها التلميح ومنهم من يطلق عليها الايماء وغيرها من المصطلحات، كما اعتبروها من أركان البيان وركائز البلاغة. ومن بين هؤلاء النقاد والبلاغيين نجد الناقد عبد القاهر الجرجاني إذ نجده يقول عنها: « فن من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ ...وكما إن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن وجهها، ولكن مدللا عليها بغيرها،كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب الإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن الرونق، مما لا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه».[9]

فعبد القاهر الجرجاني يرى أن الادلال على الصفة بغيرها يزيدها فخامة ومكانة، فعدم التصريح بالصفة للشيء والإشارة إليه يزيد الكلام جزالة وفخامة، ويضفي عليه كثيرًا من الجمال و الرونق.

كما نجد ابن الإصبع المصري يعرف مصطلح الإشارة بقوله: « إنها إشارة المتكلم إلى معان كثيرة بلفظ يشبه لقلته و اختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جدا، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار[10]».

يعني هذا أن الإشارة عن طريق اليد تعبر عن معان كثيرة، لو عبر عنها بالألفاظ لاحتاجت هذه المعاني إلى ألفاظ كثيرة.

وقد نقل عن هند بنت أبي هالة في وصف رسول الله أنه: "كان يشير بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا حدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى"

وهذا يعني أن الإشارة ببعض الكف تصعب وبكل الكف تسهل، وأن المعنى إذا كان مألوفًا لا غريب فيه فإنه يضع يده على وجهها وفي حالة العكس فإنه يقلبها، ويعني قوله إذا تحدث اتصل بها أنه اتصل حديثه بها، فيكون المعنى متصلا

أما قوله فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى فيعني أنه عند انتهاء إشارته يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، مشيرا إلى أنه ختم إشارته، فوصفه بلاغة اليد وبلاغة اللسان، يعني أنه يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة[11].

ويقول أيضا:« فالمح كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات، وتلتذه الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جدا عبر عن معان كثيرة لا تنحصر عدا » [12] ويورد مثالا على ذلك قول امرئ القيس:

بِعزِّهِمْ عَزَزْتَ، وإنْ بَذلُوا فذلُّهُمْ أنَالكَ مَا أنَالاَ[13]

ويشرح هذا القول فيقول: فانظر كم تحت قوله (أنالك ما أنالا) من أنواع الذُّل.

أما السجلماسي فيحدد مفهوم الإشارة من خلال المفهوم الجمهوري، والمفهوم الصناعي، فهي عند الجمهور مثال لقولهم أشار يشير كأنه الإيماء إلى الشيء والإلماع نحوه.

أما المفهوم الصناعي للإشارة فهي تعني العبارة عن المعنى بلازمة وعوارضه المتقدمة أو المتأخرة أو المساوقة من غير أن يصرح لذلك المعنى بلفظ أو قول يخص ذاته وحقيقة في موضوع اللسان[14]، بمعنى أن الإشارة عند السجلماسي هي التعبير عن المعنى دون تصريح ظاهر.

ويقع تحت هذا المصطلح وهو جنس عال نوعان هما: الاقتضاب و الابهام.

الاقتضاب: مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين، ويعني عندهم أخذ القليل من الكثير، أما السجلماسي فيحدد مفهوم الاقتضاب من خلال مفهومي الموطئ و الفاعل.

الموطئ: يعني اقتضاب الدلالة

الفاعل: وهو أن يقصد الدلالة على ذات معنى فيترقى عن التعبير المعتاد، وعبارة التأخر من الجمود على مسلك واحد من أساليب العبارة، ونحو واحد من أنحاء الدلالة فيظهر المقدرة على العبارة على المعاني وبعد مراميه في التصرف في مجال القول وتوسعه في نطاق الكلام، فيقتضب في الدلالة على ذات المعنى، والدلالة عليه باللوازم والعوارض المتقدمة أو المتأخرة أو المساوقة اعتمادا على ظهور النسبة بين اللوازم وبين الملزوم وقوة الوصلة والاشتراك بينهما [15].

ما يعني أن الاقتضاب هو التعبير عن المعنى ذاته بطريقة مخالفة تظهر قدرة المتكلم ومهارته في التصرف في القول شرط وجود وصلة بين اللوازم والملزوم، وهو ما يحقق نوع من اللذة و الطرب عند المتلقي .

والاقتضاب عند السجلماسي جنس عال يحتوي أربعة أنواع هي: التتبيع، الكناية، التعريض،و التلويح.

الإبهام: يعرّف البلاغيون المتأخرون الإبهام في قولهم :(أن يأتي المتكلم بكلام مبهم يحتمل معنيين متضادين، يمتاز أحدهما من الآخر ،(كالجملة التي تفهم مدحا و ذما في آن واحد)، ويأتي بعده قرينة تميّز المعنى المراد منهما، ويكون ذلك بقصد من المتكلم إلى الإبهام ، كأن يبلغ غرضه دونما دلائل يدان بها).

أما الإبهام عند صاحب المنزع فلم يذكر له موطئا ولا فاعلا بل تحدث مباشرة على أنواعه فقال:« والإبهام نوع متوسط تحته نوعان الأول التنويه، والثاني التعمية[16]».

ومن الشواهد التي ذكرها السجلماسي في الإشارة نذكر قول امرئ القيس:

ويضْحي فَتيتُ المسْكِ فوقَ فِراشِهَا. نؤومَ الضُّحَى لم تنْتطقْ عنْ تفَضُّلِ[17]

أراد الشَّاعر هنا وصف حبيبته بالتَّرف والنِّعمة، وقلة الامتهان في الخدمة وأنها لا تَخدم بل تُخدم و الدّليل على ذلك بقاء فتيت المسك على فراشها إلى وقت الضحى فجاء بما يتبع ذلك وعبر عن الشّيء بلازمي الترف وقلّة الخدمة دونما حاجه لذكرهما.

4.مصطلح الاتساع:

الاتساع عند أهل العربية نوع من أنواع البديع، وهو أن يؤتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحمله ألفاظه من المعاني، ولربما أول من عرف مصطلح الاتساع ابن رشيق القيرواني في قوله: «وذلك أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ، وقوته، واتساع المعنى» [18]، فالاتساع عند ابن رشيق هو تعدد تأويلات البيت الشِّعري الواحد، واتساع معانيه وهذه المعاني هي خلاصة تفاعل تصورات القارئ للنص، فالمعاني المخفية تشترط اندماج المتلقي مع النص.

كما نجد مصطلح الاتساع عند ابن أبي الإصبع في قوله: «هو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه، وبحسب ما تحتمل ألفاظه» [19]بمعنى أنه كلما كان معنى الكلام عميقا و قويا

كلما احتمل وجوها مختلفة من التأويل، فالكلام إذا كان من شاعر فحل احتمل وجوها من التأويل بحسب ما تحمله ألفاظه والدليل على ذلك قول امرئ القيس:

إذَا قامتا تضوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا نَسيمُ الصَّبَا جَاءتْ بِرِيَّا الْقَرَنْفُلِ[20]

اتَّسع النقاد في تأويل هذا البيت فمن قائل :تضوَّع مثل المسك منهما نسيم الصبا ، ومن قائل: تضوَّع نسيم الصبا منهما..." فكلما كان الكلام قويا كلما احتمل لقوته وجوها مختلفة من التأويل.

كما ورد مصطلح الاتساع عند ابن البناء المراكشي في باب تفصيل شيء بشيء حيث يقول: «ومن التَّفصيل ما يكون بالقوة، وهو أن يكون اللفظ يحتمل معنيين فأكثر، إمَّا من جهة الوضع، وإما من جهة احتمال اللفظ الإفراد والتركيب أو احتماله تركيبين مختلفين، ويسمى ذلك كله الاتساع[21]»، فالاتساع عند ابن البناء هو احتمال اللفظ الواحد لعدة معاني فالعبارة من الكلام تحتمل عددا من التأويلات المرتبطة بعناصر العبارة فيتسع معناها و يتشعب، ويقع هذا الاتساع في نظر ابن البناء في ثلاث حالات و مثال الحالة الأولى (جهة الوضع) قول الشاعر:

وكنْتُ كذِي رِجْلينِ رِجْلٌ صَحيحَةٌ وَرِجْلٌ رمَى فيهَا الزَّمانُ فَشُلَّتِ

فهذا القول يحتمل ثلاث معان:

معناه الأول هو تمني الرجل ضياع قلوصه فيجد سبيلا للمقام عند حبيبته، فيكون من إقامته عندها كذي رجل صحيحة، ومن ذهاب قلوصه التي تحمله وانقطاع سفره كذي رجل سقيمة و يدل على قوله :

فليتَ قلُوصِي عنْدَ عزَّةَ قُيِّدتْ بحبْلٍ ضَعيفٍ بَانَ منْهَا فَضَلَّتِ

ومعناها الثاني هو أنها لما عاهدته أن لا تحوَّل عليه ثم حالت وثبت هو على عهدها أصبح كذي رجلين :رجل صحيحة و هو ثباته على العهد، ورجل أشلاء وهو تحوّلها عن عهده، [22]ويدلّ عليه قوله في القصيدة:

وَكُنَّا عَقَدْنَا عُقْدةَ الوصْلِ بينَنَا فَلمَّا تو افقْنَا شَدَدْتَ وَحُلَّتِ[23]

وقيل معناه أيضا أنه بين خوف ورجاء، وقرب وثناء، فالخوف جعله كرِجل سقيمة والقرب والثناء جعله كرِجل سليمة.

أما الاتساع عند صاحب المنزع فقد عرفه من خلال مفهومي الموطئ والفاعل فهو اسم مثال أول بالنسبة للموطئ. أما الفاعل" فهو مقول بجهة تخصيص عموم الاسم على إمكان الاحتمالات الكثيرة في اللفظ الواحد بحيث يذهب وهم كل سامع إلى احتمال احتمال من تلك الاحتمالات و معنى من تلك المعاني"[24]. أي أن اللَّفظ يحمل معنيين مختلفين والذي يؤدي بدوره إلى تعدد التأويلات عند المتلقين، وصنفه إلى جنس عال تحته نوعان: النوع الأول الاتساع الأكثري أما النوع الثاني فهو الاتساع الأقلّي.

الاتساع الأكثري: وهو أن يتفق اللفظ البتة و يختلف في تأويله[25]، بمعنى أن اللفظ لا يختلف فيه ولكن الاختلاف يكون في تفسيره وتأويله ، ويسمى أكثري لكثرة وقوعه في الكلام، والكتاب والسنة، والشعر، ومن صوره قول الشاعر:

الرُّمْحُ لاَ أَمْلأُ كفِّي بهِ واللَّبْدُ لا أتْبعُنزُولَهْ

والدِّرعُ لاَ أبْغِي بهِ ثرْوةً كلُّ امْرئٍ مُستودعٌ مالَهْ[26]

فقول الشَّاعر: (الرمح لا أملأ كفي به) قد يكون احتمال تأويله أنه يصف نفسه بالفروسية، وأنه يقاتل بالرُّمح وغيره بالسِّيف، و يمكن أن يكون معناه أنه يأخذ الرُّمح بأطراف أصابعه لقدرته ولا يأخذه بكفِّه.

وقوله: (والدِّرع لا أبغي به ثروة) يحتمل أن يكون معناه أن درعه هو ماله الذي يدَّخره، ويحتمل أن يكون معناه أنه لا يبيع درعه فيثرى به. أما قول الشاعر: (كل امرئ مستودع ماله) فيمكن أن يكون معناه أن الشاعر يريد الاحتفاظ بدرعه وأن كل إنسان يحفظ ماله، أو أنه يريد تعزية نفسه لأن لا مال لديه لأن درعه سيسترد منه كما تسترد الوديعة من صاحبها .

الاتساع الأقلّي: أن يتَّفق اللفظ من جهة ويختلف من جهة، فترى اللَّفظ على صورة ويحتمل أن يكون على غيرها[27]، و سمي أقلّي لقلته ونزارته، أي أن الاتساع الأقلي هو عدم الاتفاق في معنى اللفظ ، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَيكأَنَّهُ لايفْلحُ الْكافِرُون﴾ ذهب الخليل وسيبويه فيه إلى أن (وي) مفصولة وهي اسم سمي به الفعل في الخبر وهي بمعنى التعجب :كأنه قال :أعجب ثم قال مبتدئا : كأنه لا يفلح الكافرون و أنشد في ذلك :

ويْ كأنَّ مَنْ يكنْ لهُ نَشبٌ يُحبَّبُ ومنْ يفتقرْيعشْ عيشَ ضُرٌّ

ويذهب أبو الحسن فيه إلى أنه: ويكأنه لا يفلح الكافرون أراد (ويْكَ) أي (أعجب) أنه لا يفلح الكافرون أي (أعجب لسوء اختيارهم) فعلَّق أن بما في ويك من معنى الفعل الكاف حرف لا محلَّ لها من الإعراب.[28]

فلفظة "**ويكأنه**" تحمل تركيبتين مختلفتين هما "**وي**" و "**ويك** " وهو ما أدى إلى اختلاف المعنى والذي أدى بدوره إلى تعدد التأويلات.

5.مصطلح العدول:

لقي مصطلح العدول اهتمامًا كبيرًا من قبل النُّقاد العرب القدامى واختلفت فيه الآراء، ومن بين هؤلاء النُّقاد نجد ابن جني، الذي يقول فيه :« وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة، لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة[29]» وهذا يعني أن المجاز يتحقق عن طريق العدول عن الحقيقة باستعمال الاتساع و التوكيد و التشبيه و العكس صحيح.

أما العدول عند الجرجاني فهو يدلُّ على ترك طريقة في الصياغة إلى طريقة أخرى أحسن في التعبير عن المعنى، وذلك في سياق حديثه عن الإظهار، والإضمار، والدَّواعي الفنية الموجبة لكليهما[30]، فالعدول عند الجرجاني هو استبدال طريقة في التعبير عن المعنى بطريقة أخرى أحسن منها بحيث يكون المعنى نفسه فالعدول يجعل الكلام متجددا عند متلقيه و يمنحه حياة وقوة. ومن الشواهد التي استدل بها الجرجاني قول الشاعر:

ولو شِئْتُ أنْ أبْكي دمًا لبكيتُهُ عليهِ ولكنْ سَاحةُ الصَّبرِ أوسَعُ[31]

فقياس هذا لو كان على أحدٍ "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى"، وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا، و سبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السَّامع و يؤنسه به.

أما السجلماسي فيعرف العدول من خلال مفهومي الموطئ والفاعل فيقول: الموطئ: مثال أول مصدر عدل عدولا.

الفاعل: وصف المتكلم شيئين إلى القصد الأول أو الثاني.

وهو جنس متوسط تحته نوعان: النوع الأول التتمة، والنوع الثاني التوجيه.

التتمة: الفاعل فيها هو إرادة المتكلم وصف شيئين، وأحدهما وهو الأول مقصود على القصد الأول، وذكر الثاني لضرب من التأكيد أو التلاقي. وهو جنس متوسط تحته نوعان: الاعتراض والاستدراك[32]. فالتتمة هي رغبة المتكلم في وصف شيئين ويختار القصد إلى الأول مع ذكر الثاني من أجل التأكيد.

أما الاعتراض فالفاعل فيه هو إرادة المتكلم وصف شيئين الأول منهما على القصد الأول والثاني بالانجرار أو لضرب من التأكيد فقط[33].و من صوره قوله تعالى: ﴿ وَيُنجي اللهُ الذينَ اتَّقوا بمفازتهمْ لا يمسَّهم السُّوءُ ولا هُمْ يحزنونْ، والذين كفرُوا بآياتِ اللهِ أولئكَ هُمُ الخاسرونْ﴾[34]

فالاعتراض في قوله تعالى والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون، فالجزء الأول من الآية بين صفة السعادة و الجزء الثاني بين صفة الشقاء في تضاد بلاغي جميل.

وصوره من الشعر قول الذبياني:

ألاَ زعَمتْ بنُو عبْسٍ بِأنيّ ألا كذَبَتْ كبيرُ السِّن إنّي[35]

فقوله "ألا كذبتْ" اعتراض كلام على جهة التشديد للأول والتأكيد على كذبها وادعائها.

أما النوع الثاني والذي هو الاستدراك فالفاعل فيه هو إرادة المتكلم وصف شيئين الأول منهما على القصد الأول والثاني بالانجرار لضرب من التلاقي.[36] فالاستدراك هو نفي المتكلم صورة ما من خلس متلقيه و

يتدارك ذلك بالخروج و العودة لإثبات ما تنفيه نفسه وهو ما يزيد المعنى قوة وترسيخ في ذهن المتلقي. ومن صور هذا النوع قول الشاعر ابن المعتز:

نُبِّئْتُ فَاضِحُ نَفْسِهِ يغْتَابني عنْدَ الأميرِ، وَهَلْ عليَّ أميرُ؟ [37]

يذكر الشاعر أن رجلا ذكره بسوء عند الأمير ثم يستدرك الأمر في قوله: (وهل علي أمير؟) وهو استدراك حسن فهو سيِّد في قومه، ولا قوة عليه من أمير أو وزير، وربما تركب الاستدراك بالتصدير كالذي هنا من قوله في بيت جرير

(**غدٌ و أقسمَ لا تُقْضى الديونُ غدًا**) و هو فيه أظهر من قوله (عند الأمير وهل علي أمير؟).

6.خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة الكشف عن صناعة المصطلح عند أبي القاسم السجلماسي، وهذا من خلال مصطلح الغموض والوقوف على طريقة وضعه، وتوليده، والمقارنة بينه وبين مجموعة من النقاد السابقين له وقد توصلنا إلى أن السِّجلماسي كانت له طريقته المختلفة والتي ميزته عن سابقيه، والتي كان لها الفضل في تطوير النقد والبلاغة العربيين، فمزجه بين الثقافة العربية واليونانية والتي تجلَّت في تصنيفه للمصطلح إلى جنس عال تحته أنواع وفروع جعلت من كتابه المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع من أهم الكتب والمراجع التي يعتمد عليها الدارس والباحث في القديم وفي العصر الحالي، كما أنه يعدّ من أهم الكتب التي تزخر بها المكتبة العربية عامة والمكتبة المغربية خاصة، و لهذا و جب الاهتمام بالكتب التي تركها لنا نقادنا العرب و التي هي في دهاليز المكتبات و اخراجها إلى النور ليستفيد منها باحثينا و طلابنا.

7. الهوامش

[1] المدرسة المغربية في النقد العربي القديم، جميل حمداوي، 2012، مجلة حوليات التراث، العدد 12.

[2] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، تح تق: علال الغازي، 1980، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، ص 49.

[3] التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العليا، 1961،جامعة الدول العربية، ص 46.

[4] مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، محمد بن أحمد بن شقرون، ص 147.

[5] المنزع البديع، ص 105-106.

[6] لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المؤسسة المصرية للتأليف و الأبناء و النشر، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، مج 9 ص 63-65.

[7] الموازنة بين أبي التمام و البحتري، الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت، ص 11.

[8] المثل السائر، ابن الاثير ضياء الدين، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، 1962،مطبعة الرسالة، بيروت، ج 6، ص 4-7.

[9] دلائل الاعجاز، الجرجاني عبد القاهر، 1992،مطبعة المدني، القاهرة، ط 3، ص 306.

[10] تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع المصري، تح: حفنى محمد شرف، 1963،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،ص 200.

[11] المرجع نفسه، ص 200.

[12] المرجع نفسه، ص 202.

[13] المرجع نفسه، ص 203.

[14] المنزع البديع، ص 262.

[15] المنزع البديع، ص 263.

[16] المنزع البديع، ص 266.

[17] المنزع البديع، ص 263.

[18] العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص 75.

[19] تحرير تحبير، ص 454.

[20] المرجع نفسه، ص 454.

[21] الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي، تح: رضوان بن شقرون، 1985، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب،(د،ط)، ص 132.

[22] المصطلح النقدي و البلاغي عند ابن البناء المراكشي، سعاد فريح، 1424/1423 هـ، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

[23] المرجع نفسه، ص 75.

[24] المنزع البديع، ص 429.

[25] المرجع نفسه، ص 430.

[26] المرجع نفسه، ص 432.

[27] المرجع نفسه، ص 437.

[28] المرجع نفسه، ص 437.

[29] الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، ص 442.

[30] دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: السيد محمد رشيد رضا،1981،دار المعرفة، بيروت، ص 126.

[31] المرجع نفسه، ص 127.

[32] المنزع البديع، ص 448.

[33] المرجع نفسه، ص 449.

[34] المرجع نفسه، ص 451.

[35] المرجع نفسه، ص 452.

[36] المرجع نفسه، ص 455.

[37] المرجع نفسه، ص 455.

8. قائمة المراجع

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، تح تق: علال الغازي، 1980، مكتبة المعارف، الرباط.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المؤسسة المصرية للتأليف و الأبناء و النشر، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة.
- الموازنة بين أبي التمام و البحتري، الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت.
- المثل السائر، ابن الاثير ضياء الدين، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، 1962،مطبعة الرسالة، بيروت.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: السيد محمد رشيد رضا،1981،دار المعرفة، بيروت.
- دلائل الاعجاز، الجرجاني عبد القاهر، 1992،مطبعة المدني، القاهرة.
- تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع المصري، تح: حفنى محمد شرف، 1963،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
- العمدة، ابن رشيق القيرواني. الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار.
- الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي، تح: رضوان بن شقرون، 1985، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب.
- التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العليا، 1961،جامعة الدول العربية.
- مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، محمد بن أحمد بن شقرون.
- المصطلح النقدي و البلاغي عند ابن البناء المراكشي، سعاد فريح، 1424/1423 هـ، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- المدرسة المغربية في النقد العربي القديم، جميل حمداوي، 2012، مجلة حوليات التراث، العدد 12.